المحاضرة الثانية

تعريف علم اللهجات، وتعريف اللغة واللهجة، والعلاقة بينهما عند القدماء والمحدَثين

أولاً: تعريف علم اللهجات[١]:

تُعَدُّ دراسة اللهجات دراسة مهمة من الدِّراسات اللُّغَويَّة في العصر الحديث ، وهي من فروع علم اللغة العام.

وقد عُرِّفَ علم اللَّهجات بعِدَّةِ تعريفات ، ومنها:

أ- علم يدرُس الظَّواهِر والعوامل المُختلفة المُتعلِّقة بحدوث صور من الكلام في لغة من اللُّغات.
ب- علم يدرُس الظواهر المُتعلِّقة بانقسام اللغة إلى لهجات تختلف باختلاف البلاد أو باختلاف الجماعات النَّاطقة بها.
ت- علم يدرُس خصائص اللَّهجات في اللغة الواحدة كما تظهر في الفروق الصَّوتية والصَّرفيَّة والنَّحويَّة والدَّلاليَّة.
ث- علم يدرُس اللَّهجات بوصفها أنظمة لغوية تنشأ أو تتفرَّع من لغةٍ أو لُغَات.
ج- العلم الذي يدرُس لهجات اللغة الواحدة ، كأن تُدرَس لهجات القبائل العربية القديمة.

ثانياً: تعريف اللغة واللَّهجة.

أ- تعريف اللُّغة[٢]:

اللغة هي وسيلة للتفاهُم بين النَّاس ، أو هي قُدرَة إنسانية للتَعبير عن الأغراض والحاجات.
وهُناكَ تعريفات مُتعدِّدة ومتنوِّعة تُحاول تحديد مفهوم (اللُّغة) منها تعريف ابن جنِّي إذ يقُول:

---

(١) يسمِّيه بعض الباحثين (اللَّهجيَّات) اختصارًا للمُصطلح.
(٢) ذَكَرَ اللغَويون أنَّ اللغة مُشتقَّة من الفعلِ لغا يلغُو إذا تكلَّمَ ، أو منَ الفعل لغِيَ يَلغَى إذا لهج.

١. أصوَات يُعَبِّرُ بها كلُّ قَومٍ[١] عن أغراضِهِم[٢].

وعُرِّفَت بعبارةٍ أُخرى بلفظ: هي ما يُعَبِّرُ بها كلُّ قَومٍ عن أغراضهم. وقد ذهبَ بعض الباحثين إلى أنَّ التعريف الثاني أوضَح وأشمَل من الأول ؛ لأنَّ ابن جنِّي حدَّ اللُّغة على وسيلة واحدة من وسائل التَّعبير والاتصال ، وهو الوسيلة اللغوية التي تتمثَّل فيما يَصدُر عن الإنسان منَ الأصوات المُعَبِّرة عن أغراضه وحاجاتِهِ في شؤون الحياة.

في حين يُستفَاد من التعريف الثاني أنَّ مُصطلَح اللغة لا يقتصِر على ما يصدُر عن الإنسان من الأصوات المُعَبِّرة عن الأغراض فحَسب ، وإنَّما يتجاوز الوسيلة اللغوية إلى غيرِها من العلامات كالإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه والرموز ، وكل وسيلة ينتقل بها معنى مُفيد تربُط بينَ أفراد المجتمع ، و يُعبِّرونَ بها عن شؤونهم المختلفة.

٢. كل وسيلة لتبادُل المشاعر والأفكار كالإشارات والأصوات والألفاظ.

ومع وجود الاختلاف في تحديد مفهوم معنى اللغة ، فليس هناك اختلاف على أنَّ اللغة تتفرَّع إلى لهجات ، وأنَّ كل لهجة من لهجات أي لغة معيَّنة تحتفظ بالملامح الأساسية للنظام اللغوي.

ب- تعريف اللَّهجَة[٣]:

لكلمة اللهجة عِدَّة معانٍ في اللُّغة فهي: اللِّسان أو طَرَفه ، وجَرس الكلام[٤] ، واللغة التي جُبِلَ عليها الإنسان فاعتادَها ونشأَ عليها أو لغة الإنسان التي تعوَّدَ عليها من طبيعتهِ ، وكذلك طريقة من طرائق الأداء في اللغة ، تتميَّز بها طبقة أو فئة اجتماعية عن أُخرى.

---

(١) المُراد بالقَوم بنُو آدم.

(٢) أي حاجاتهم. وتعريف ابن جنِّي يُرَكِّز على عنصُرَين أساسيين:

أ- بيَان طبيعة اللغة فسمَّاها أصواتًا فلَم تَكُن ظاهرة مكتوبة.

ب- توضيح وظيفتها ، فهي عنده يُعَبِّرُ بها كلُّ قَومٍ عن أغراضهم فوظيفتها للتعبير.

(٣) بفَتحِ الهاء وإسكانها ، وجمعها لَهَجَات.

(٤) تقول: أحسَستُ بشدَّةِ حُزنِهِ من لَهجَته.

أمَّا في الاصطلاح فعُرِّفَت بعِدَّةِ تعريفات منها:

١. مجموعة[١] من الصِّفات[٢] اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترِك في هذهِ الصِّفات جميع أفراد هذه البيئة[٣].
٢. طريقة مُعَيَّنة في الاستعمال اللغوي تُوجَد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة.
٣. العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من النَّاس تتكلَّم لغة واحدة.
٤. لغة الإنسان التي أخذها عن والديه ومحيطه الاجتماعي اللغوي أخذًا طبيعيًّا ، فاعتادها ، فأصبحت لغته الأم[٤].

وهذه الصفات أو الطريقة أو العادة الكلامية تكون في غالب الأحيان صوتية ، وقد تكون الطريقة متعلِّقة ببُنية الكلمات ونسجها ، وقد يكون اختلاف الاستعمال اللغوي من جهة المعاني[٥] ، ولكن الاختلاف الصوتي له الدور المهم في اختلاف اللهجات وتنوعها.

إنَّ بيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمَل تضُم عدَّة لهجات لكلٍّ منها خصائصها، ولكنَّها تشترك جميعًا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تُيَسِّر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهمًا يتوقف على قَدَر الرابطة التي تربُط لبن هذه اللهجات وتلكَ البيئة الشاملة التي تتألَّف من عدَّةِ لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة.

---

(١) أي: طائفة من المميزات والخصائص.
(٢) الصِّفات اللغوية المقصودة في هذا التعريف هي في أكثر الأحيان صفات صوتية ، وقد تشمل صفات نحوية أو صرفية أو دلالية محدودة غير واسعة ، وإلا تحولت اللهجة إلى لغة.
(٣) التي قد تكون مدينة أو قرية أو حيًّا من مدينةٍ ما.
(٤) و يُرَاد من اللهجة أيضًا: لغة محلية تختلف عن اللغة الفصحى من حيث اللفظ والقواعد والمُفردات.
تنبيه: اللهجة إذا اتسمت بخصائص بارزة بحيث توافر لها ما يجعلها تستغني عن أصلها بحاجة الجماعة التي تتحدَّث بها أمكن أن تُسمَّى لغة ، وذلك حيث تتضح قواعدها ونظمها الصوتية والصرفية والتركيبة بحيث تجتمع لها عناصر الإفادة الكاملة والتعبير السليم ؛ لأنها تبقى بحاجة مجتمعها لها ، وقد تساعد عوامل كثيرة على استقلال اللهجة وصيرورتها لغة قائمة بذاتها مشهورة لدى مجتمعها.
(٥) مثل كلمة (وثب) فهي عند حمير بمعنى (جلس) ، وعند عرب الشمال بمعنى (قفز).

فاللهجة إذَن تتولَّد من اللغة وتتفرَّع منها.

ثالثاً: العلاقة بين اللغة واللهجة عند القُدماء والمُحدَثين:

كانَ علماء العربية القدماء يُطلِقُون مُصطلَح (اللُّغَة) و هُم يعنون به (اللَّهجَة) ، كما استعملوا مصطلح (اللَّحْن) أحيانًا ، و هم يعنون به (اللَّهجَة) أيضًا. فَهُم يُعَبِّرونَ عن اللَّهجة بكلمة (اللُّغَة) ؛ لذلكَ هم يعدُّون اللهجات العربية لُغات مختلفة.

والظاهر أنَّ العرب القدماء كانوا يعبرون عمَّا نُسمِّيه نحنُ باللغة بكلمة (اللِّسان) ، وقد ورد هذا الاستعمال في القُرآن أيضًا ، فهُم لم يستعملوا مصطلح اللَّهجة على النَّحو الذي نعرِفَهُ اليوم ، بل كانوا يُطلِقُونَ لفظ اللغة أو اللحن ويردون منه اللهجة[1].

أمَّا عند المُحدَثين فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة الخاص بالعام والفرع بالأصل.

فاللغة تشتمل على عدَّة لهجات لكلٍّ منها ما يُميِّزها ، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تُؤلِّف لغة مُستقلة عن غيرها من اللغات.

([1]) يرى بعضُ الباحثين أنَّ العلاقة بين اللغة واللهجة لم تكن واضحة عند علماء العربية القدماء، لذلك نجد الخلط بينهما ، ويُعِدُّونَ اللهجات العربية لغات مختلفة.